زهد النبي صلى الله عليه وسلم

تعريف الزهد:

الزهد هو بغض الدّنيا والإعراض عنها.
وقيل: هو أن يخلو قلبك ممّا خلت منه يدك.
وقال ابن القيّم: إنّ الزّهد سفر القلب من وطن الدّنيا، وأخذه في منازل الآخرة.

حقيقة الزهد:

وقال الإمام الغزاليّ: الزّهد هو عبارة عن انصراف الرّغبة عن الشّيء إلى ما هو خير منه.
وكلّ من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فإنّما عدل عنه لرغبته عنه، وإنّما عدل إلى غيره لرغبته فيه.

ما يعين على الزهد:

والّذي يصحّح هذا الزّهد ثلاثة أشياء:
أحدها: علم العبد أنّ الدّنيا ظلّ زائل، وخيال زائر، فهي كما قال تعالى { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) } [الحديد: ٢٠، ٢١] وسمّاها الله مَتاعُ الْغُرُورِ ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترّين، وحذّرنا مثل مصارعهم، وذمّ من رضي بها، واطمأنّ إليها.
الثّاني: علمه أنّ وراءها دار أعظم منها قدرا، وأجلّ خطرا، وهي دار البقاء، فالزّهد فيها لكمال الرّغبة فيما هو أعظم منها.
والثّالث: معرفته وإيمانه الحقّ بأنّ زهده فيها لا يمنعه شيئا كتب له منها، وأنّ حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها فمتى تيقّن ذلك ثلج له صدره، وعلم أنّ مضمونه منها سيأتيه.
قال صلى الله عليه وسلم: "مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ".
فهذه الأمور الثّلاثة تسهّل على العبد الزّهد في الدّنيا وتثبّت قدمه في مقامه.

ذمَّ من يحب الدنيا ويؤثرها على الآخرة:

قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ *وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾]القيامة: ٢٠، ٢١.[
وقال :﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾]الفجر: ٢٠.[
وقال :﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾]العاديات: ٨.[
والمراد حب المال، فإذا ذمَّ من أحب الدنيا دل على مدح من لا يحبها، بل يرفضها ويتركها.
وفي المسند وصحيح ابن حبان عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب دُنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدُنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى).
وفي المسند وسنن ابن ماجه عن زيد بن ثابت، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة).
ومن كلام جندب بن عبدالله الصحابي: (حب الدنيا رأس كل خطيئة).
قال الحسن: من أحب الدنيا وسرته، خرج حُب الآخرة من قلبه.
وقال وهب: إنما الدنيا والآخرة كرجل له امرأتان: إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى.

زهد النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا:

وزهد النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا زهد اختياري وليس فقراً كما قد يظنه بعض الناس إذ يظن بعضهم أنه فقر وأنه صبر عليه والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم زهد في الدنيا اختياراً منه وإيثارا لما عند الله عز وجل وادخاراً لثوابه ولتتأسى به أمته صلى الله عليه وسلم وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: (جلس جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال له جبريل: هذا الملكُ ما نزل منذ خُلق قبل هذه الساعة، فلما نزل قال: يا محمد! أرسلني إليك ربك، أملكاً أجعلك، أم عبداً رسولاً؟ قال له جبريل: تواضع لربك يا محمد! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا بل عبداً رسولاً) رواه ابن حبان وصححه الألباني.
•وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مَشرُبَةٍ، وإنه لمضطجع على خصفةٍ إن بعضه لعلى التراب، وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً، وإن فوق رأسه لإهاباً عطناً، وفي ناحية المشربة قرظ، فسلمت عليه فجلست فقلت: أنت نبي الله وصفوته،

وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير! فقال: (أولئك عُجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنا قوم أخّرت لنا طيباتنا في آخرتنا) رواه ابن حبان والحاكم وحسنه الألباني. عطناً: أي منتناً، و القرظ: شجر يُدْبَغُ به وقيل: هو ورَقُ السَّلَم يُدْبَغُ به الأَدَمُ.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اجعل رزق آل محمدٍ كفافاً) متفق عليه.

صور من زهد النبي صلى الله عليه وسلم:

•عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: (ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه) رواه مسلم والترمذي. والدقل: هو التمر الرديء.

•وعن عروة عن عائشة رضي الله عنه أنها كانت تقول: والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. قلت: يا خالة فما كان يعيشكم: قالت: الأسودان التمر والماء. رواه الشيخان.

قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فقال" :ما أخرجكما من بيوتكم هذه الساعة؟ "قالا: الجوع، يا رسول الله. قال" :وأنا، والذي نفسي بيده! لَأَخرجَني الذي أخرجكما."

•وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي. من حيث ابتعثه الله حتى قبضه الله، وما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلاً من حيث ابتعثه الله حتى قبضه، فقيل: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه) رواه البخاري. النقي: الدقيق الجيد. ثريناه: جعلناه صالحاً للطعام.

•وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فقام وقد أثَّر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: (مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

•وعن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: (ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة) رواه البخاري.

من فوائد (الزهد):

(١) فيه تمام التّوكّل على الله.
(٢) يغرس في القلب القناعة.
(٣) صرف المسلم عن التّعلّق بالملذّات الفانية إلى العمل من أجل النّعيم المقيم.
(٤) فيه كبح جماح النّفس إلى الشّهوات.
(٥) يؤصّل العفّة والنّزاهة في نفوس المؤمنين.
(٦) يعلّم المسلم كيف يسدّد هدفه إلى الدّار الآخرة.
(٧) الزّاهد يحبّه الله ويقرّبه إليه.
(٨) راحة في الدّنيا وسعادة في الآخرة.
(٩) حبّ النّاس له حيث أنّه لا يزاحمهم على دنياهم.
(١٠) فيه التّأسّي برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصحابته الكرام.
(١١) الاطمئنان إلى جناب الله والرّضى بما قسم.
(١٢) يؤصّل في النّفس حبّ الإنفاق في سبيل الله وعدم التّعلّق بالدّنيا.
(١٣) يخرج نفسه من عبوديّة الشّيطان والدّنيا والنّفس.